

السياحة المستدامة كقناة لتنمية المجتمعات المحلية

Sustainable tourism as a channel for local community development

د. براهيم شاوش توفيق¹ مخبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

أ.فارس إيمان² مخبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

Dr. BRAHAM CHAOUCH Toufik, Laboratoire des Etudes et Recherches en Développement

Rural, Université Mohamed El Bachir El Ibrahimi, Bordj Bou Arréridj

Fares Imen, Laboratoire des Etudes et Recherches en Développement Rural, Université

Mohamed El Bachir El Ibrahimi, Bordj Bou Arréridj

الملخص:

إن السياحة المستدامة التي تعتمد أساسا على تطبيق مبادئ التنمية المستدامة على الأنشطة السياحية، تمثل قناة رئيسية لتحقيق التنمية في المجتمعات المحلية، وذلك انطلاقا من كون العلاقة بين السائح والمضيف تتميز بمجموعة من الخصائص والمميزات، وتتضمن مجموعة من العمليات يتولد عنها آثار وانعكاسات مختلفة ترتبط أساسا بالوسط السائد في المناطق المزارية، وفي هذا الإطار يجب أن تسمح الأنشطة السياحية من تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان المحليين من خلال الاستفادة من المشاريع العامة ومن التوزيع العادل لعوائد الأنشطة السياحية، كما يجب أن تتم في احترام كامل للقيم الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية في ظل إشراك السكان المحليين في عملية صنع القرارات المتعلقة بالتنمية السياحية.

الكلمات المفتاحية: التنمية السياحية، السياحة المستدامة، التنمية المحلية.

Résumé :

Le tourisme durable, qui repose principalement sur l'application des principes du développement durable aux activités touristiques, représente un vecteur important pour le développement des communautés locales, car la relation entre le touriste et son hôte est caractérisée par un ensemble de caractéristiques et comprend un ensemble de processus générant différents effets et réflexions principalement liés milieu présent dans les régions d'accueil. Dans ce contexte, les activités touristiques devraient permettre d'améliorer les conditions économiques et sociales de la population locale grâce à la mise en œuvre de projets publics et à une répartition équitable des revenus des activités touristiques, et cela tout en respectant les valeurs sociales et culturelles des communautés tout en impliquant les populations locales dans le processus décisionnel lié au développement du tourisme.

Mots-clés : développement touristique, tourisme durable, développement local

مقدمة:

إن التنمية السياحية في أي منطقة لا تعتبر هدفا بحد ذاتها، وإنما هي وسيلة لتحسين الأوضاع والظروف الاقتصادية والاجتماعية في هذه المناطق، وهو ما يعود بالنفع على المجتمع كله بصفة عامة، ومن ثم يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الآثار التي قد تنتجها الأنشطة السياحية على الموارد الطبيعية والتنوع البيئي، خاصة وأن السياحة تعتمد أساسا على هذه الموارد، وكذا على الهوية الثقافية وتراث وتقاليد المجتمعات المحلية، كما أن هذه الأنشطة يجب أن تساهم وبشكل محسوس في تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المضيفة ومن ثم تنمية المجتمعات المحلية في ظل العلاقة المتولدة بين الزائر والمزار، وانطلاقا مما سبق سيحاول هذا

¹ toufik.brahamchaouch@univ-bba.dz

² imen.fares@ univ-bba.dz

البحث الإجابة على التساؤل التالي: كيف يمكن للأنشطة السياحية أن تكون قناة فعالة في ترقية وتطوير المجتمعات المحلية؟

سيتم التطرق أولاً إلى مفهوم السياحة المستدامة التي ظهرت كإسقاط لمبادئ التنمية المستدامة على الأنشطة السياحية، والتي فرضت نفسها كشكل جديد للممارسة السياحية في ظل الدور المحوري الذي تلعبه الاستدامة في الأنشطة السياحية، ثم سوف نحاول تبيان آثار وانعكاسات الأنشطة السياحية في المجتمعات المحلية من خلال قراءة لطبيعة العلاقة المتولدة بين السواح والسكان المحليين وكذا للعمليات المتضمنة في هذه العلاقة، وكيف يمكن للأنشطة السياحية أن تكون لها انعكاسات إيجابية وسلبية حسب الإطار الذي يتم فيه ممارسة النشاط السياحي في المنطقة المستقبلية، وفي الأخير سنقوم بإبراز دور السياحة المستدامة في تنمية المجتمعات المحلية من خلال استفادة المجتمعات المحلية من المشاريع العامة وكذا من العوائد المتولدة من الأنشطة السياحية، هذا إلى جانب إشراك السكان المحليين في القرارات المتعلقة بالأنشطة السياحية وتسييرها في ظل الاحترام الكامل للأصالة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية مع حماية وتنميين التراث الثقافي والتاريخي وعدم التشويش على سير الحياة اليومية للسكان المحليين.

أولاً: السياحة المستدامة كروية جديدة للممارسة السياحية

تمثل الاستدامة عنصراً محورياً في الأنشطة السياحية، لذلك عكفت الهيئات والمنظمات الدولية وكذا العديد من المنظرين والمفكرين في التدقيق في مفهومها وتفتيحها، حيث قام كل طرف بإعطاء وجهة نظره للتنمية المستدامة، وسنقف هنا على أهم هذه الأفكار والآراء.

1. أهمية الاستدامة في الأنشطة السياحية

ظهر مفهوم السياحة المستدامة كمنظور جديد للممارسة السياحية نتيجة مختلف الانعكاسات والآثار التي أنتجتها الأنشطة السياحية بممارستها التقليدية على المستوى الاقتصادي، البيئي والاجتماعي والثقافي، والذي يهدف إلى إعادة توزيع الأدوار على أصحاب المصالح في النشاط السياحي من سواح، مؤسسات سياحية ومجتمع محلي، حيث أن الموارد السياحية سواء كانت مادية أو معنوية تمثل النواة الأساسية للنشاط السياحي لكونها جوهر ما يطلبه السياح ولا يمكن للنشاط السياحي أن يقوم أو يزدهر بدون وجود هذه العناصر، و هي غير قابلة للإحلال ولا للتقليد ولا يمكن الحصول عليها إلا في مناطق سياحية بعينها، فهي تمثل ميزة تنافسية لهذه المناطق تؤهلها لتقديم منتج سياحي متميز، ومن ثم فإن أي تدهور لهذه الموارد (غير المتجددة) سوف يؤدي إلى تراجع لمكانة وقدرة الجذب السياحي الكلية لهذه المناطق، لذلك فإن المنشآت السياحية يجب أن لا تمس بقدرة الجذب السياحية خاصة تلك التي تعتمد على الموارد الطبيعية والثقافية والاجتماعية، لأن استمرارية العرض السياحي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بانعكاسات الأنشطة السياحية على هذه الموارد في الأجلين المتوسط والطويل، لتصبح حماية والمحافظة وتنميين الموارد الطبيعية والثقافية متغيراً هما في تطوير الأنشطة السياحية¹.

2. تعريف السياحة المستدامة

إن مصطلح السياحة المستدامة مصطلح حديث نسبياً، حيث توسعت الجهود من طرف المنظرين وأصحاب القرار وبدأ التفكير فعليا في إدراج مبادئ الاستدامة إلى المجال السياحي بعد قمة ريو للتنمية والبيئة سنة 1992،

حيث تم التأكيد في قمة Lanzarote بجزر الكناري في إسبانيا والتي عقدت في 27-28 أبريل 1992 أن التنمية السياحية يجب أن تعتمد على معايير الاستدامة، أي القابلية في الاستمرار على المستوى البيئي، والقابلية للتطبيق على المستوى الاقتصادي، والعدالة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي بالنسبة للمجتمعات المحلية، وذلك من خلال أخذ الأنشطة السياحية بعين الاعتبار الآثار التي قد تنتجها على الموارد الطبيعية والتنوع البيئي، خاصة وأن السياحة تعتمد أساسا على هذه الموارد، ونادت كذلك إلى احترام الهوية الثقافية وتراث وتقاليد المجتمعات المحلية في ظل التفاهم المتبادل، كما أكدت على أن الأنشطة السياحية يجب أن تساهم وبشكل محسوس في تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المضيفة².

تعرف المنظمة العالمية للسياحة UNWTO السياحة المستدامة على أنها السياحة التي تأخذ بعين الاعتبار وبشكل كامل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الحالية والمستقبلية، ملبية في ذلك حاجيات الزوار والمهنيين والمحيط والمجتمعات المضيفة.

ومن ثم فإن هذه المنظمة ترى أن السياحة المستدامة يجب أن تهدف إلى³:

1. الاستخدام الأمثل للموارد البيئية التي تشكل عنصرا أساسيا في التنمية السياحية، والحفاظ على العمليات *processus* الإيكولوجية الأساسية، والمساهمة في المحافظة على الموارد الطبيعية والتنوع البيئي.
2. احترام الأصالة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، والحفاظ على التراث الثقافي والمادي والمعنوي الحي والقيم التقليدية، والمساهمة في نشر التسامح والتفاهم بين الثقافات.
3. ضمان بقاء العمليات الاقتصادية في المدى الطويل، وذلك من خلال منح جميع المتعاملين وأصحاب المصالح عوائد اقتصادية واجتماعية موزعة بعدالة، بما في ذلك خلق فرص للعمل، تحقيق مداخيل ثابتة وتقديم خدمات اجتماعية لصالح المجتمعات المحلية والمساهمة في محاربة القضاء على الفقر.

وقد حدد Wiliam M & Gravity Show قواعد الاستدامة في السياحة كما يلي:

- الاستخدام المتواصل للموارد وحمايتها شيء أساسي وطويل المدى؛
- تقليل التلوث البيئي لتجنب تكلفة الأضرار البيئية طويلة المدى لتحسين جودة السياحة؛
- تحقيق التنوع الطبيعي والاجتماعي والثقافي قاعدة صلبة للسياحة؛
- التأكيد على المساواة بين الأجيال؛
- تقييم الأثر البيئي يزيد من استمرارية السياحة؛
- مراعاة الاعتبار الاقتصادي والأخذ بمفهوم التكلفة والعائد؛
- مشاركة المجتمعات المحلية في السياحة يفيد البيئة المحيطة ويحسن من جودة السياحة؛
- الاهتمام بتدريب العاملين على كل المستويات لتطوير جودة المنتج؛
- إعداد الدراسات والبحوث للمساعدة في حل المشكلات وزيادة المنافع الاقتصادية.

إن السياحة المستدامة عبارة رؤية جديدة للممارسة السياحية عبر نظام معقد يضم مجموعة من العناصر الداخلية والخارجية بشكل يؤدي إلى تنمية قادرة على الحفاظ على نوعية المحيط والتجارب السياحية لدى السياح وعلى النظم الاجتماعية والثقافية لدى السكان المحليين، وذلك وفق توازن يتحدد بالمبادئ والقيم المنتشرة لدى

أصحاب المصالح وبالظروف المتعلقة بالزمان والمكان، حيث أن هذه الاستدامة مرهونة بقدرة الإيرادات والعوائد السياحية على تغطية التكاليف المتولدة من النشاط السياحي، سواء كانت هذه التكاليف متعلقة بالمدخلات المستعملة في العملية الإنتاجية من طرف المؤسسات السياحية أو التكاليف المتعلقة بالانعكاسات السلبية للنشاط السياحي على المحيط والبيئة والتي يتحدد كل منه بمجموعة من المركبات والعوامل، لتصبح دالة الاستدامة السياحية الفرق بين مجموع الإيرادات ومجموع التكاليف والمرتبطة بحجم التوسع في النشاط السياحي، ويمكن تحديد بعض العوامل التي تتحكم في استدامة النشاط السياحي في العناصر التالية⁴:

- مدى حساسية البيئة الطبيعية والاجتماعية للتغيرات الخارجية، فالمناطق المحمية والتي تتميز بنظام بيئي هش لا يمكن السماح فيها بالتوسع في الأنشطة السياحية إلا لمستوى جد محدود؛
- مكانة ودور النشاط السياحي في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للوجهة السياحية، حيث أن تراجع حجم النشاط السياحي سيؤدي إلى المنافع لدى السكان المحليين أساسا والمتولد من مداخل النشاط النقدية بصفة مباشرة وغير مباشرة، أو من العوائد العينية كالهياكل والمرافق العمومية؛
- سلوكيات أصحاب المصالح والمتعاملين في النشاط السياحي سواء تعلق الأمر بالسواح، المؤسسات السياحية، الإدارات المحلية والسكان المحليين، التي تحدد اتجاه المحافظة وتأمين الموارد الطبيعية والاجتماعية والثقافية، أو تدهورها واضمحلالها؛
- طول الموسم السياحي وطبيعة المنتج السياحي المعروض من حيث المدخلات المستعملة في العملية الإنتاجية، التي تحدد معدلات الاستخدام وقدرة إعادة توليد *régénération* الموارد.

ثانيا: الآثار الاجتماعية والثقافية للأنشطة السياحية في المجتمعات المحلية

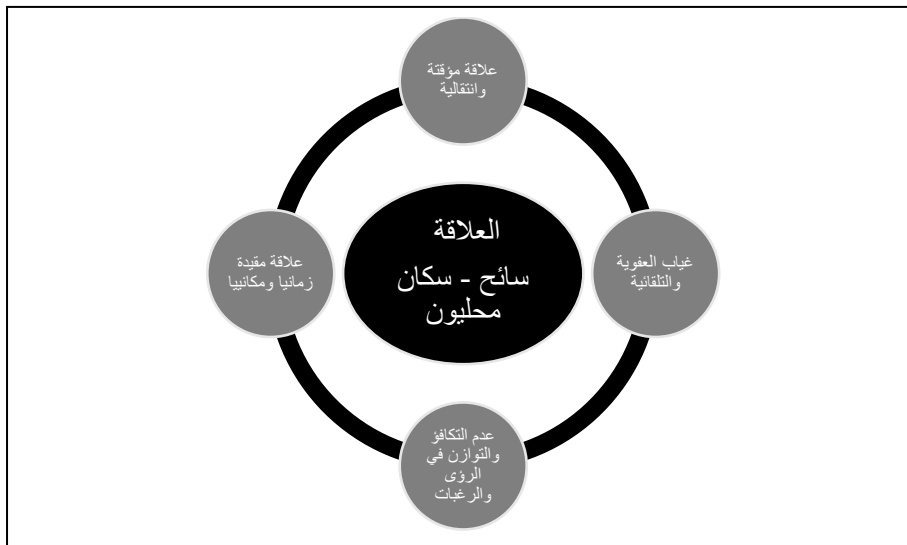
إن الاحتكاك المستمر بين السواح والسكان المحليين وما ينطوي عليه من تولد مجموعة من العمليات والعلاقات الاجتماعية التي تحمل مجموعة من الخصائص والمميزات، سيكون له تأثير عميق على التنظيم الاجتماعي والحياة اليومية للسكان المحليين، والذي سيحكم على احتضان أو نفور هؤلاء من قيام الأنشطة السياحية في مناطقهم، كما نبينه فيما يلي.

1. طبيعة العلاقة المتولدة بين السواح والسكان المحليين

إن التنقل الذي يمثل العنصر الأساسي للظاهرة السياحية، أي أنه لا يمكن ممارسة السياحة إلا بالسفر والانتقال يخرج الفرد من بيئته المعتادة مهما كانت المسافة المقطوعة ويدخله في محيط جديد، وتتحدد معالم هذا المحيط بعدة عناصر: كالمناخ والتضاريس، اللغة والعادات لدى السكان المحليين، ومن جانب آخر فإن تنقل الأفراد إلى مكان لفترة متعاقبة تزيد عن الأربع وعشرون ساعة، والتي تعتبر طويلة نسبيا، يحتاج فيها السائح إلى تلبية العديد من حاجيات المبيت والمأكل والمشرب ومختلف احتياجات السفر الأخرى، والتي لا يمكن أن يتم إشباعها إلا في المنطقة المزاراة وما ينجر عن ذلك حتما احتكاك بالسكان المحليين أين تتولد مجموعة من العلاقات بين هؤلاء والسياح، وتبقى هذه العلاقات مؤقتة وانتقالية يبحث فيها السواح إلى تعظيم المنفعة والمتعة خلال رحلتهم في حين أن السكان المحليين لا يرون فيها إلا مجرد واحدة من اللقاءات السطحية والعبارة التي يشهدونها خلال الموسم السياحي، وبالتالي فإن التفاعل بين المضيفين والسائحين له فرصة ضعيفة للتطور إلى ما هو أبعد من

مستوى سطحي، خاصة في ظل التركيز الزمني والمكاني للنشاط السياحي الذي يفرض بعض القيود التي تؤثر على مدة وكثافة الاتصال بين السائح والسكان المحليين، حيث يجد السائح فيها نفسه في وضعية جديدة ستدفعه إلى التحلي بأوصاف جديدة تميزه عن الساكن المحلي، كما تدفعه إلى ممارسة سلوكات وتصرفات غريبة عليه إما للتكيف مع الوضعية الجديدة التي أوجد نفسه فيها أو لإشباع حاجة في نفسه، مما يدفعه إلى القيام بتسوية لاقتناء تجربة سياحية مريحة دون مخاطر ولا توتر يتم التخطيط والترتيب لها من طرف منظمي الرحلات، أما السكان المحليون فيبحثون من جهتهم إلى تعظيم المنافع لا سيما المادية والتي يمكن جنيها من النشاط السياحي من خلال المشاركة في تقديم خدمات لصالح السواح (سلع تقليدية، خدمات عامة، تجارة جوارية...)، حيث تتحول بعض أفعال الكرم وحسن الضيافة إلى معاملات تجارية وتصبح الاتصالات واللقاءات منظمة ومتحكم فيها، مما يجعل العلاقات بين السواح والمضيفين من السكان المحليين تتميز بنقص في التلقائية والعفوية، ومن ثم فإن العلاقات بين السواح والسكان المحليين تتجه نحو عدم التكافؤ والتوازن في الرؤى، ويتجلى من خلال التباين وحتى التنافر الذي قد يكون بين في مستويات الرضا والمعاني المكتسبة عند كل طرف⁵، ويلخص الشكل التالي الأبعاد الأربعة لطبيعة العلاقة المتولدة بين السواح والسكان المحليين.

الشكل رقم (01) أبعاد طبيعة العلاقة المتولدة بين السواح والسكان المحليين



Source : Fait par les chercheurs à partir de Wall Geoffrey & Mathieson Alister, Tourism: changes, impacts and opportunities, Pearson Prentice Hall, Harlow, 2006, pp 223-225.

1. الآثار والانعكاسات الاجتماعية للأنشطة السياحية

تمثل السياحة صلة وصل بين الشعوب على اختلاف قيمها وثقافتها ومستويات دخلها وأنماط حياتها، ويمكن أن يكون هذا التبادل تبادلا قيما جدا من نواح عدة، لكنه قيد يفرض أيضا إلى احتكاك أو يهدد القيم والثقافات الراسخة، بل إن بعض الملاحظين يرون أنه قد يتسبب في تدهور ثقافي أو قطيعة ثقافية بالنسبة إلى مجتمعات الوجهة السياحية سيما النساء والشعوب الأصلية المعرضة للتأثر، كما قد يؤدي إلى تدمير يفرض في نهاية المطاف إلى رفض السكان المحليين وجود السياح الأجانب⁶، ومن هنا تأتي أهمية تجاوب المشاريع السياحية

مع تطلعات ومصالح سكان المناطق المستقبلية، كما يمكن أن يحدث نفور من طرف المجتمعات المضيفة الذين يعيشون بالقرب من المرافق السياحية عندما يجدون أنفسهم مدمجين في الأنشطة السياحية دون أي يتم إعدادهم نفسيا وثقافيا ودون أي يتم تسجيل أي فائدة من تلك الأنشطة، والتي لا تتوافق أحيانا مع الثقافة المحلية أو أنها تؤثر على الممارسات والقيم الدينية، العادات المحلية، وممارسة الأنشطة التقليدية مثل الصيد وصيد الأسماك.⁷

وتتمثل المتغيرات المحددة للنتائج الاجتماعية للسياحة فيما يلي⁸:

- خصائص السائح الوافد وحجم ومستوى وطبيعة احتياجاته من الخدمات المختلفة، بالإضافة إلى سماته الاجتماعية والثقافية؛
- طبيعة العلاقات المتبادلة بين السياح والسكان المحليين في الأقاليم المضيفة؛
- مدى رواج صناعة السياحة وتعدد الأنشطة والخدمات المرتبطة بها والتي تنعكس على خصائص المحلات العمرانية وأنماطها.

وتتضاعف هذه التأثيرات في البلدان النامية أو المتخلفة، التي تتميز عادة بوجود ثقافات محلية وعادات وتقاليد التي تكون عرضة لقيم وأفكار وسلوكيات جديدة قادمة مع تيار السياح الأجانب، كما أن السكان المحليين هناك قد لا يكونون مهئين ثقافيا، اجتماعيا وسياسيا مع التحول الحاصل في نمط معيشتهم بانتقالهم من مستوى الكفاف إلى اقتصاد نقدي نتيجة التوسع والنمو الحاصل في الأنشطة السياحية، حتى أنه قد يولد شعورا بالاستغلال للثقافة المحلية المهددة بالزوال وتحولهم إلى ثقافات غريبة تتعارض مع القيم والتوجهات السائدة، وتتلخص أهم المخاوف لدى المجتمعات المحلية من النشاط السياحي فيما يلي⁹:

- قيام السياحة بتعطيل وسلعة¹⁰ الثقافات المحلية والرموز والقيم؛
- آثار غير مقبولة على البيئة المحلية التي تمثل القاعدة الرئيسية للنشاط الاقتصادي (الفلاحة، الصناعة والحرف...)
- عدم إمكانية إشراك السكان المحليين في اتخاذ القرارات المتعلقة بتطوير النشاط السياحي؛
- عدم توظيف وتشغيل اليد العاملة المحلية في المنشآت والمرافق السياحية المحلية؛
- تولد تصورات بوجود تفاوت في السلطات بين السكان المحليين، السياح وأصحاب المؤسسات، خاصة في ظل وجود استفادة غير متكافئة من عوائد الأنشطة السياحية، ويلخص الجدول الموالي أهم الانعكاسات والآثار التي يمكن أن تولدها الأنشطة السياحية على المستوى الاجتماعي في المناطق المستقبلية.

الجدول رقم (01): ملخص لأهم الآثار الاقتصادية والاجتماعية للنشاط السياحي

الآثار السلبية	الآثار الإيجابية
التنظيم الاجتماعي	
- الطابع الفصلي لمناصب الشغل وعادة ما تكون ذات عوائد منخفضة. - عدم التوافق بين السياسات والأهداف المسطرة في المجال السياحي من طرف الحكومات والهيئات المركزية ومتطلبات وتطلعات السكان المحليين، وتهديد القيم والعادات والتقاليد السائدة والعلاقات الاجتماعية في الأسرة والمجتمع والأجيال. - بروز فروقات اقتصادية واجتماعية وتهديد المناخ التنافسي في المجال السياحي. - بروز فئة جديدة من المقاولين والمستثمرين التي قد تؤثر في القرارات المتخذة وطريقة الحكم المحلي.	- تغير في هيكل القيم والعلاقات في المجتمع والأسرة (بروز المرأة في سوق العمل، ظهور شراكة محلية، ظهور منتجات وعادات استهلاكية جديدة...). - خلق مناصب شغل في مجال الخدمات المقدمة مباشرة للسياح الأجانب، وبصفة غير مباشرة من خلال الأنشطة المتعلقة بالنشاط السياحي (صناعات وحرف تقليدية...) - الاستفادة من هياكل اجتماعية واقتصادية (مستشفيات، مدارس...)، وكذا تكنولوجيات جديدة (الانترنت...) - تضامن اجتماعي من خلال إشراك السكان في تسيير وصيانة التراث الطبيعي، الثقافي والاجتماعي عبر الجمعيات المحلية.
الثقافة المحلية	
- طمس للثقافة المحلية والتأثر بالنماذج الثقافية الدخيلة على المجتمع المحلي: التقليد، ممارسة سلوكيات غريبة... اختفاء اللهجات واللغات المحلية. - عدم توافق بين الثقافة المحلية والثقافة الأجنبية: التأثير على الممارسات والقيم الدينية، العادات المحلية، الألبسة... - ظهور آفات اجتماعية (مخدرات، كحول، اعتداءات...)	- تعزيز وتنشيط الميزات الثقافية المحلية من خلال إبراز للهوية وإثبات للشخصية. - تعلم لغات جديدة والتفتح على ثقافات أجنبية. - تنمية والمحافظة وصيانة للتراث الطبيعي، الثقافي والمعنوي المحلي وللحرف وللصناعات التقليدية. - بث الاحترام المتبادل بين السائح والمستقبل.
الحياة اليومية	
- تدني مستوى المعيشة (اكتظاظ السياح، اكتظاظ السير، ارتفاع الأسعار، استعمال متزايد للموارد...). - نزوح وهجرة سكان المناطق السياحية. - المضاربة في العقارات، السكنات والأراضي. - ظهور السكنات الفوضوية بحدود المناطق السياحية.	- تحسن مستوى ونمط المعيشة بتحسين وزيادة المداخل وتوفير فرص العمل. - تكثيف للعلاقات الاجتماعية وإدماج الشباب في المجتمع - الهجرة نحو الأقطاب السياحية (إعادة تأهيل المناطق). - التحسيس بالموارد المتاحة والتراث والاعتزاز بالانتماء.

Source : Gagnon Christiane et Gagnon Serge (Sous la direction de), L'écotourisme, entre l'arbre et l'écorce, Presses de l'Université du Québec, Québec, 2006, p80.

2. العمليات المتضمنة في العلاقات الاجتماعية بين السائحين والمضيفين

إن الاحتكاك بين السائح والسكان المحلي يتولد عنه مجموعة من العمليات والعلاقات الاجتماعية، وهي تختلف حسب طبيعة ونوعية السياح ورؤيتهم وهدفهم من الرحلة السياحية من جهة، وكذا حسب ما ينتظره السكان المحليون من عوائد مادية من توافد السياح لديهم وما لذلك من انعكاسات على التنظيم الاجتماعي في المناطق

المستقبل، لذلك فإن هذه العلاقات تتراوح بين التعاون والمنافسة بين السياح في جد ذاتهم وبينهم وبين السكان المحليين، فينتج عن ذلك توافق وتأقلم بين هؤلاء وهؤلاء تارة وتنافر وصراع تارة أخرى، كما ينتج عن ذلك تقليد ومحاكاة سواء لدى السواح للتكيف مع الوضعية الجديدة التي يجدون فيها أنفسهم فيها أثناء الرحلة من خلال تقليد السكان المحليين في عاداتهم أو لدى السكان المحليين من خلال ارتداء الملابس الأجنبية والتحدث ببعض العبارات الأجنبية مثلاً¹¹، ويمكن تلخيص أهم العمليات المتضمنة في العلاقات الاجتماعية بين السائحين والمضيفين في الجدول التالي.

الجدول رقم (02): أهم العمليات المتضمنة في العلاقات الاجتماعية بين السائحين والمضيفين

عمليات صراع ومنافسة وتعارض		عمليات تعاون	
لدى السكان المحليين	لدى السياح	لدى السكان المحليين	لدى السياح
صراع بين السكان المحليين والسواح لما يلتمسه الطرف الأول من آثار سلبية للنشاط السياحي في حياته اليومية سواء على المستوى الاقتصادي، البيئي، الثقافي والاجتماعي	في حالات جد محدودة نظرا لقصر المدة الزمنية نسبيا للرحلة السياحية، ولغياب علاقة بينهم إلا في وجود علاقة العائلة أو الصداقة أو الزمالة بين السياح	تعاون بين المضيفين مع السائحين من خلال التواصل والتفاعل المضيفين فيما بينهم وتقبل الناس لوجودهم وترحيبهم بهم لكونهم زوارا مرغوب فيهم وما ينجر عن ذلك من منافع مادية	تعاون أعضاء الوفد السياحي لتحقيق نجاح مؤكد للرحلة من خلاله إشباع غالبية دوافع ورغبات أعضاء الرحلة
تقليد ومحاكاة		عمليات تأقلم وتوافق	
لدى السكان المحليين	لدى السياح	لدى السكان المحليين	لدى السياح
تقليد المضيفين للسائحين خصوصا في أجيال الشباب من ارتداء الملابس الأجنبية وقص الشعر مثل الأجانب والتحدث ببعض العبارات الأجنبية	شغف السائحين بالتعرف على التعرف على عادات وتقاليد السكان المحليين، ولذا نلمس إقبال السائحين في كثير من الحالات على ارتداء الملابس التقليدية أسوة بالمضيفين وتناول الوجبات المحلية	أعضاء الوفود السياحية في توافق مع المضيفين المهنيين والأهالي في الحدود المسموح بها ونلمس ذلك من تبادل عبارات التحية والإشارات	التكيف بين السياح من أجل إنجاز الرحلة الاستمتاع بها، ويحدث فيما بينهم نوع من التوافق المرحلي من خلال الالتقاء والتسامح وتغيير في اتجاهاتهم وعاداتهم بما يتوافق مع الإطار العام للفوج السياحي

المصدر: من إعداد الباحثين انطلاقا من رحيب حسين وآخرون، السياحة والتنمية السياحية مع دراسة خاصة حول مناطق الهضاب العليا بالجزائر، دار النشر جيطلي، برج بوعرييج، 2013، ص ص 113-118.

ثالثا: دور السياحة المستدامة في تنمية رأس المال الاجتماعي

يجب أن تسمح التنمية السياحية للمجتمعات المحلية من الرقي وتحسين أوضاعهم المعيشية دون عرقلة سير حياتهم اليومية ومع المحافظة على أعرافهم وعاداتهم، وعلى تراثهم الثقافي والتاريخي، ومن ثم فهي تحافظ وتعمل على ترقية رأس المال الاجتماعي للمناطق المزارة، وذلك من خلال النقاط التالية:

1. تدعيم البنى التحتية والمرافق العمومية:

إن التنمية السياحية في منطقة معينة يتطلب القيام مشاريع كبرى للبنى التحتية (تعبيد للطرق، إنشاء جسور، مطارات، موانئ...) كما يتطلب توفير حزمة كبيرة للمرافق والخدمات العمومية (التوصيل بشبكات الكهرباء والماء، خدمات الاتصال، الأمن العمومي، الاستشفاء العمومي...)، وإن كانت هذه الخدمات ضرورية وغير متعلقة بالنشاط السياحي فقط، فإنها ستعمل لا محالة على تحسين الظروف المعيشية والرفي بالحياة الاجتماعية للسكان المحليين في الوجهات السياحية خاصة الفئات المحرومة، وذلك من خلال فك العزلة على الكثير من المناطق لا سيما الريفية والجبلية منها، كما أنها ستعطي دفعا جديدا للتنمية الاقتصادية في هذه المناطق وسيفتح آفاقا لأنشطة اقتصادية جديدة خارج قطاع السياحة (الزراعة مثلا).

وفي هذا الإطار يمكن تشجيع المستثمرين السياحيين على المشاركة في صناديق خاصة لتمويل مشاريع ذات فائدة عامة (مدارس، مراكز صحية، حفر آبار...) لصالح المجتمعات والسكان المحليين من خلال التخفيضات الضريبية والتسهيلات الإدارية، أو تنظيم شراكة مع مقاولين أجانب بحيث يهتم السكان المحليون بتوفير أهم المنتجات والخدمات السياحية بينما يهتم المقاول الأجنبي بالجانب التسويقي.

2. الاستفادة من المداخل المتولدة من النشاط السياحي:

بالموازاة مع كون الأنشطة السياحية مصدرا للثروة في المجتمع ومساهمة في خلق القيمة المضافة، فهي كذلك مولدة للمداخل وتمثل قناة فعالة لتوزيع هذه المداخل خاصة مع كثرة الأعوان الاقتصاديين واختلافهم من حيث حجمهم وشكلهم القانوني والمساهمين في صياغة وتقديم المنتج السياحي للمستهلك النهائي سواء كان محليا أو أجنبيا، وتزداد هذه المداخل في الوجهات التي تستقطب عددا كبيرا من السواح، أو تلك التي يميل فيه السواح إلى المكوث لفترات أطول، أو في المناطق التي تمنح فرص أكبر لصالح السواح أو أنها تستقطب السواح ذوي المستوى العالي من الإنفاق، لذلك لابد من تفعيل السياحة كقناة فعالة لتوزيع المداخل وجعل العوائد الاقتصادية للنشاط السياحي يمس أكبر شريحة من السكان المحليين واحتباس الإيرادات السياحية داخل الوجهة السياحية وذلك من خلال:

- اعتماد إجراءات تشجع على توفير فرص عمل للسكان المحليين بعينهم من خلال سياسات التوظيف الشفافة والعادلة البعيد عن كل تمييز عرقي أو جنسي أو غيره من أنواع التمييز، على أن يتم بالموازاة مع ذلك اعتماد برامج تعليمية وتكوينية لصالح هؤلاء السكان حتى يتسنى لهم الحصول على هذه الوظائف؛
- اعتماد سياسات تحفيزية وتشجيعية لصالح السكان المحليين أو لصالح رجال الأعمال المنحدرين من تلك المناطق، وذلك من أجل إنشاء المؤسسات لا سيما المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتقديم إعانات في مجال التمويل (التمويل المصغر، قروض بأسعار فائدة محسنة...) وفي المرافقة والتكوين، والتي ستقوم بتقديم سلع وخدمات للسياح مباشرة (إطعام، سلع تقليدية، تجارة التجزئة...)، أو المؤسسات التي تقوم بتزويد المؤسسات السياحية بما تحتاجه من سلع وخدمات وسيطية أو تقوم بمناولات داخلية في مجال النقل والصيانة مثلا.

– اعتماد سياسات وإجراءات تدفع بالسكان المحليين الذين يقومون بأنشطة بصفة غير رسمية كخدمات النقل، الدليل السياحي، خدمات الإيواء، التجارة المتنقلة... إلى ولوج السوق الرسمي من خلال التسهيلات الإدارية ومنح التراخيص.

3. مشاركة السكان المحليين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالتنمية السياحية:

يجب أن تتم عملية صنع القرار الخاصة بالتنمية السياحية لدى السكان في المناطق المستقبلية بشكل شفاف وبإشراك المجالس المحلية المنتخبة وهيئات المجتمع المدني من خلال تحديد نوعية الزوار واختيار طبيعة السياح المستهدفين، وكذا طرق إدماجهم في الحياة اليومية للمجتمع وتسيير احتكاكهم بالسكان المحليين (تنظيم الزيارات، الإيواء والإطعام)، بما يحترم العادات وخصائص منطقتهم، حتى تكون السياحة بهذا الشكل لا تهتم فقط بالعوائد المالية، وإنما تركز وتعزز الشعور بالانتماء لدى السكان المحليين والافتخار بالموروث الإنساني لديهم والمشاركة في تسييره والاستفادة منه والعمل على صيانتها وتنميته¹².

وقد قدم كل من Pretty و Hine سنة 1990 ست مستويات من المشاركة التي يمكن أن يقدمها السكان المحليون في التنمية السياحية، تختلف كل منها باختلاف درجة إدماجهم في عملية اتخاذ القرار، كما يبينه الجدول التالي.

الجدول رقم (02): مستويات مشاركة المجتمعات المحلية في النشاط السياحي حسب Petty و Hine

مستوى المشاركة	خصائص ومميزات مستوى المشاركة
المشاركة السلبية	يشارك السكان المحليون من خلال التحدث فيما تم تقريره أو تم تنفيذه، ويتم اقتسام المعلومات فقط لدى المهنيين الخارجيين.
المشاركة التشاورية	يتم إشراك السكان المحليين من خلال الاستشارة أو عن طريق طرح الأسئلة دون المشاركة في اتخاذ القرار، ولا يوجد أي إلزام بالأخذ بأرائهم.
المشاركة المشتركة	يتم إشراك السكان المحليين مقابل محفزات وعوائد مادية عينية أو مالية، وليس هناك مصلحة في الاستمرار بالمشاركة حين توقف هذه المحفزات.
المشاركة الوظيفية	وهي مقصودة من طرف الوكالات الخارجية حيث يتم إشراك السكان المحليين قصد تدنية التكاليف مثلاً لتحقيق أهداف معينة.
المشاركة التفاعلية	يشارك الأفراد في التحليل المشترك، ووضع خطط العمل وتشكيل أو تعزيز الجماعات أو المؤسسات المحلية، وتحدد منهجيات التعلم للحصول على وجهات نظر فيما يخص كيفية استخدام الموارد المتاحة
التعبئة الذاتية	المشاركة والتواصل باتخاذ مبادرات مستقلة عن المؤسسات الخارجية، ويتم إقامة علاقات مع هذه الأخيرة للمشورة الفنية فيما يخص استخدام الموارد بغرض الاحتفاظ بالسيطرة على استخدامها.

Source: Mowforth Martin & Munt Ian, Tourism and Sustainability, 2ed Edition, Routledge, London, 2003, p 215.

4. عدم عرقلة الحياة اليومية للسكان المحليين:

إن الطابع الفصلي للنشاط السياحي يؤدي إلى تركيز عدد كبير من الأفراد في منطقة محدودة (التركيز المكاني) خلال فترة قصيرة التي توافق الموسم السياحي (التركيز الزمني)، مما يؤدي إلى وقوع ازدياد حاد في الطلب على الموارد الموجودة في الوجهة السياحية (استعمال المياه، الكهرباء...)، كما يؤدي إلى اكتظاظ وضغط في استخدامات المرافق العمومية (ازدحام المرور، عجز في النقل العمومي...)، مما قد يخلق نزاعات مع السكان المحليين الذي يجدون أنفسهم في منافسة مع السواح الجانِب للحصول على تلك المواد خاصة في فترات التي تعرف توافدا كثيفا للزوار، الأمر الذي يشكل تشويشا واضطرابا على سير الحياة اليومية للسكان المحليين مما يؤثر سلبا على موقفهم من النشاط السياحي، ومن ثم يجب اعتماد بعض الإجراءات للتخفيف من حدة هذا الضغط، نذكر منها¹³:

- تمديد الموسم السياحي للتقليل من التركيز الزمني للنشاط السياحي؛
- تقديم عروض خاصة وتخفيضات خارج فقترة الموسم السياحي؛
- ترقية وإنشاء مناطق ومرافق سياحية جديدة في الوجهة السياحية للتقليل من التركيز المكاني؛
- اعتماد إجراءات خاصة للتحكم في حجم تدفق السياح (تحديد المجموعات السياحية، حقوق الدخول، مناطق ممنوعة للسياح، برامج زمنية...)
- برمجة الاستثمارات على مستوى المرافق السياحية أو على مستوى البنى التحتية والفوقية بما يتوافق مع حجم النشاط السياحي ومتطلبات السكان المحليين في الأجل المتوسط والطويل.

5. احترام الأعراف والعادات المحلية للمجتمعات المستقبلية:

يجب أن يتم تنظيم النشاط السياحي في ظل توافق تام لقيم وثقافة المجتمعات المحلية، ويجب على السواح أو مسيري المؤسسات السياحية عدم التحلي بسلوكيات تتنافي مع الأعراف المحلية أو أنها تؤثر على الممارسات والقيم الدينية، والعادات المحلية مما قد يخلق في بعض الأحيان سلوكيات عدائية من طرف المجتمعات المحافظة ضد كل ما هو أجنبي، وهنا يجب اعتماد مجموعة من الممارسات من طرف جميع الأطراف الفاعلة في النشاط السياحي، نذكر منها¹⁴:

- تقديم برامج توضيحية من طرف المؤسسات السياحية لصالح السياح قبل وأثناء الرحلة وإيفائهم بالمعلومة اللازمة والمتعلقة بالثقافات والعادات السائدة في المجتمعات المحلية مع التركيز على النقاط الحساسة التي يجب أن تحظى بأولوية الاحترام (اللباس، الطقوس الدينية...)
- فرض قوانين داخلية من طرف المؤسسات السياحية على السياح بما يتوافق سلوكهم مع عادات وأعراف المجتمع المحلي مع فرض عقوبات (إتاوات، غرامات مالية...)
- اعتماد إجراءات أمنية من طرف السلطات العمومية لمراقبة ومنع انتشار الآفات الاجتماعية المتعلقة بالنشاط السياحي (تجارة المخدرات، دعارة، اعتداءات...)
- قيام السلطات العمومية وهيئات المجتمع المدني بحملات توعوية لصالح السكان المحليين لإبراز أهمية السياحة كقناة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومحاولة بث الاحترام المتبادل بين السائح والمستقبل في إطار

الأدب والكرم وحسن الاستقبال، والدعوة للاعتزاز بالميزات الثقافية المحلية وبالهوية والشخصية المحلية ومن ثم العمل على تثمين والمحافظة وصيانة للتراث الطبيعي، الثقافي والمعنوي المحلي وللحرف وللصناعات التقليدية.

6. المحافظة وتثمين التراث الثقافي والاجتماعي:

يأتي تثمين التراث الثقافي والتاريخي المادي والمعنوي في المناطق السياحية من بين أولويات السياحة المستدامة لكونه عنصرا من عناصر الجذب السياحي، حيث يمكن للسياحة أن تكون قناة جد فعالة في حماية البيئة والمعالم التاريخية والثقافية، وذلك حسب أربعة حالات رئيسية كما يلي¹⁵:

– يمكن للسياحة أن تكون محفزا للقيام بعمليات الترميم وإعادة التأهيل للمواقع التاريخية والمباني والمعالم الأثرية الموجودة كالبنائيات القديمة: أبراج، منارات، مساجد، كنائس، قصور... أو تهيئة الممرات والطرق في الأحياء العتيقة، لتصير محج الزائرين والسياح مما يساهم في إبراز المكانة الثقافية والتاريخية لتلك المعالم ويعزز روح الانتماء للسكان المحليين ويساهم في توليد عوائد مالية يمكن أن تستعمل في عملية التحسين المستمر لهذه المنشآت؛

– يمكن أن يتم من خلال الأنشطة السياحية تحويل بنايات قديمة ومعالم عتيقة إلى منشآت سياحية ذات صفة وتوجه سياحي جديد، كتحويل بعض المنازل والديار القديمة إلى مقاهي أو مطاعم شعبية، مع الحفاظ على الطابع التقليدي والتاريخي الأصيل لهذه المعالم، مما يسمح للسائح أو الزائر بالتمتع بخدمة سياحية حديثة في محيط محلي عريق، وهنا يجب أن نؤكد من وجوب وجود تنسيق وثيق بين الهيئات المسؤولة عن المحافظة على التراث والبيئة ووكالات الدعاية للتأكد من الحفاظ الكامل للصفات والخصائص التاريخية والثقافية لهذه المعالم، والسهر على اختيار النشاط السياحي المناسب لطبيعة هذه المعالم؛

– يمكن للسياحة باعتبارها نشاط اقتصادي أن تكون وسيلة للمحافظة على الموارد الطبيعية كما هو الحال في الحضائر والمحميات الطبيعية التي تمثل خير مثال للعلاقة بين التنوع البيئي والسياحة، وقدرة هذه الأخيرة على ضمان الحفاظ على أنواع النباتات والحيوانات المتواجدة هناك والتي تمثل مصدر الجذب السياحي في تلك المناطق، كما تساهم السياحة من خلال تطوير هذا النوع من الأنشطة إلى بعث وتطوير الكثير من الأنشطة الأخرى المرافقة للنشاط السياحي (إيواء، نقل، منتجات محلية...).

كما يمكن للسياحة والرغبة في بعث النشاط السياحي سببا في اعتماد مراقبة إدارية وإجراءات تنظيمية للمحافظة على نوعية البيئة وضمان تقديم تجارب سياحية مرضية للسائح، وتختلف هذه الإجراءات من موقع لآخر ومن بلد لآخر، بحسب مرونة وقدرة صمود المنطقة أو الموقع المعني وكذا درجة وكثافة الاستخدام للمرفق السياحي، هذا إلى جانب الشكل والصفة القانونية للهيئة المسؤولة عن الرقابة، فيمكن مثلا اعتماد إجراءات لمنع أو الحد أو تقييد حركة المرور (تحديد عدد السياح اليومي، حظر المرور لبعض الأماكن، منع استعمال السيارات المتاخمة للأماكن السياحية...).

الخاتمة:

انطلاقا مما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية:

- تمثل الاستدامة عنصرا محوريا في السياحة، لذلك تأتي السياحة المستدامة كتطبيق لمبادئ التنمية المستدامة على الأنشطة السياحية والتي تأخذ بعين الاعتبار وبشكل كامل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الحالية والمستقبلية؛
- تتعلق هذه آثار وانعكاسات الأنشطة السياحية حسب مميزات وخصائص الوسط السائد في المناطق المستقبلية، ودرجة انفتاحه على المحيط الخارجي، وكذا طبيعة احتكاك بين السواح في المجتمع المحلي وطريقة إدماجهم في الحياة اليومية للسكان من حيث حجم السواح وعددهم ومدة إقامتهم.
- تتصف العلاقة بين السائح والمضيف (السكان المحلي) بالموقتة والانتقالية في ظل القيود الزمانية والمكانية التي تميز النشاط السياحي، وتغيب فيها العفوية والتلقائية وتتجه نحو عدم التكافؤ والتوازن في الرؤى؛
- تتضمن العلاقات الاجتماعية بين السائح والمضيف عمليات من التعاون والنافس في آن واحد، وكذا عمليات تأقلم وتوافق تؤدي إلى خلق علاقات التقاء وتقارب تدفع بالسواح إلى تقليد ومحاكاة السكان المحليين في عاداتهم وحياتهم اليومية؛
- يجب أن تسمح الأنشطة السياحية من تحسين الأوضاع الاجتماعية للسكان المحليين من خلال الاستفادة من المشاريع العامة ومن التوزيع العادل للعوائد الاقتصادية لهذه الأنشطة؛
- يجب إشراك السكان المحليين في عمليات صنع القرار المتعلقة بالتنمية السياحة لاسيما فيما يخص استخدام الموارد السياحية وكيفية الاستفادة من عوائد النشاط السياحي وأشكال الاحتكاك بين السواح والسكان المحليين؛
- يجب أن يتم ممارسة الأنشطة السياحية في ظل احترام كامل للقيم الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية مع عدم التشويش على سير الحياة اليومية للسكان المحليين؛
- يمكن للسياحة أن تكون قناة جد فعالة في حماية البيئة والمعالم التاريخية والثقافية من خلال عمليات الترميم وإعادة التهيئة لهذه المعالم أو من خلال تحويلها إلى منشآت سياحية، كما يمكن السياحة وسيلة لإعادة بعث وتطوير الكثير من الأنشطة الأخرى المرافقة للنشاط السياحي.

¹ Pupion Pierre Charles, « Tourisme durable et valorisation de l'environnement du littoral aquitain : diversité et stratégies des acteurs » in *Management & Avenir*, n° 34,, 2010/4, p. 289-305.

² Marsac Antoine et al., « Tourisme durable et expériences touristiques : un dilemme. Proposition d'un dispositif d'analyse appliqué à l'itinérance en milieu rural » in *Management & Avenir*, N° 56, 2012/6, p 135.

³ Organisation Mondiale du Tourisme, *Un Tourisme Durable pour le Développement* Guide, Madrid, 2011, p 19.

⁴ توفيق براهيم شاوش، "كيفية إدراج مفاهيم ومبادئ السياحة المستدامة في النشاط السياحي" في مجلة الأبحاث الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة علي لونيسي البلدة 2، المجلد 12، العدد 16، جوان 2017، ص 68.

⁵ Wall Geoffrey & Mathieson Alister, *Tourism: changes, impacts and opportunities*, Pearson Prentice Hall, Harlow, 2006, pp 223-225 .

⁶ الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، مجلس التجارة والتنمية، "السياحة المستدامة: المساهمة في النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة"، جنيف، مارس 2013.

⁷ Lequin Marie, *Ecotourisme et gouvernance participative*, Presses de l'Université du Québec, Québec, 2001, p 23.

⁸ أمينة أبو حجر، الجغرافيا السياحية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 222.

⁹ Mc Cool Stephen F & Bosak Keith, *Reframing Sustainable Tourism*, Springer, New York, 2016, p20.

¹⁰ السلعة (commodification) هي عملية تحويل بضائع أو خدمات أو أفكار، أو أي نوع آخر لا يعتبر من أنواع البضائع، إلى [سلعة](#) تباع وتشتري.

¹¹ رحيم حسين وآخرون، السياحة والتنمية السياحية مع دراسة خاصة حول مناطق الهضاب العليا بالجزائر، دار النشر جيطلي، برج بوعرييج، 2013، ص 113.

¹² Mowforth Martin & Munt Ian, Tourism and Sustainability, 2ed Edition, Routledge, London, 2003, p 215.

¹³ World Tourism Organization, Making tourism more sustainable- A guide for policy makers, op cit, p32.

¹⁴ Organisation mondiale du tourisme, Vers un tourisme durable - Guide à l'usage des décideurs, 2006, p 40.

¹⁵ Wall Geoffre & Mathieson Alister, Tourism: change, impacts and opportunities, Pearson Education Limited, Harlow, 2006, p 163- 165.